# الأجوبة العقلية لأشرفية الشريعة المحمدية

تأليف

العالم العلامة خاتمة المحققين وعمدة المدققين السيد الشيخ
أبي البركات نعمان خير الدين بن السيد الشيخ محمود
الآلوسي المفتي البغدادي المتوفى سنة ١٣١٧

﴿ عنيت بنشرها وطبعها ﴾

إدارة الطباعة المنيرية
لصاحبها ومديرها محمد منير الدمشقي

درب الاتراك رقم ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارضين . وصلواته وسلامه على سيدنا ونبينا محمد رسوله خاتم المرسلين. وعلى جميع اخوانه الذين أرسلوا مبشرين ومنذرين وآله وصحبه والتابعين له باحسان إلى يوم الدين *

﴿ أما بعد ﴾ فقد اطلعت (على سؤال فى جريدة حبل متين الفارسية) التى تطبع فى ( كلكته ) من بلاد الهند المؤرخة فى ٢٨ شوال سنة ١٣١٣ هـ وطلب صاحبه الجواب عليه من علماء المسلمين وحيث أنى والحمد لله أعد من جملتهم وعندى فرائد من لآلىء خزانتهم طلب منى بعض الأحباب فى بغداد مدينة السلام أن أجيب على سؤال ذلك السائل فأجبت مقرا بقلة بضاعتى متبعا لما ورد فى الحديث الشريف الذى رواه المحدثون الاخيار « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار » لاسيما أن الجواب يتضمن الذب عن الشريعة المحمدية ويرجى أن يهدى البارى سبحانه به المنصفين من ذوى العقول السالمة المرضية وأؤمل به الثواب والاجور الأخروية فشرعت فيه يوم التروية وأتممته عشية يومها مستمدا منه سبحانه التوفيق والعناية والسداد والهداية *

﴿ فأقول ﴾ سؤال السائل بالفارسية وترجمة خلاصته بالعربية « إن المسلمين يدعون أن نبيهم عليه الصلاة والسلام خاتم الانبياء وان شريعته نسخت سائر الشرائع وان دينهم يبقى على هذه الهيئة الى قيام الساعة وان شريعته أشرف الشرائع وهذا ترجيح بلا مرجح فما الدليل العقلى على ذلك مع أن جميع الشرائع ممزوجة أحكامها بانتظامات دنيوية وأجور أخروية

وكل من أصحاب الاديان الاخرى يدعى ذلك فما الدليل على إثبات دعوى المسلمين المتقدمة المرجحة لدينهم على جميع الاديان وما سبب الشرفية ودوامه الى آخر الدوران؟ ﴿والجواب﴾ على ذلك من وجوه معقولة ومنقولة ليؤيد العقل النقل ويعضد الفرع الاصل بألفاظ قليلة المبنى غزيرة المعنى مشتملة على إشارات يعرفها أصحاب الكتاب ويعقلها أولوا الالباب لأني قد استوفيت مفصل ذلك فى كتابى « الجواب الفسيح لما كتبه الكندى عبد المسيح » وقد طبع ـ وله سبحانه المنة ـ فى بلدة (لاهور) ونشر على مفارق الايام والدهور *

﴿مقدمة﴾ لايخفى على كل عاقل سالم الطبع من التعصب غير محتج بما تلقاه عن آبائه الاوائل صحيح البصيرة والفكر طالب للتمييز بذهنه الوقاد بين الترب والتبر ساع فى نيل السعادة الابدية معرض عن الدنيا الفانية الدنية محاكم بالعقل والنقل لما يختلج فى فكره من الاوهام بالنقض والابرام طالب للنعيم السرمدى فى دار الخلد والسلام * أن هذا العالم المرئى المتغير من السماء والارض وما بينهما وما فيهما من الحيوانات والنباتات والماء والهواء والافلاك وجرى الكواكب ونزول الامطار واختلاف الفصول والليل والنهار وتفاوت البقاع والبقول وخواصها وما فى خلق الانسان والحيوانات من الحكم العظيمة والمنافع الجسيمة وخلق الذكر والانثى حتى فى النبات ووقوف كرة الارض وجرى أنهارها وبحارها بلا ممسك محس ودوران الكواكب عليها أو دوران الارض حول الكواكب إن قلنا به واختلاف الصور والطبائع والالوان والاصوات والعقول وتركيب أعضاء الحيوان واختلاف تركيب الذكر والانثى وما أودع فى أجسامه من الحكم وفى عقله من تدبير معاشه ومعرفة ما يضره وما ينفعه فى بقائه فى كل ذلك مما تعجز عن درك افهام أولى البصائر والابصار وغير ذلك مما ذكر بعضه

فى الكتب الكبار ويعجز القلم عن تحرير عشر معشاره وأن يكرع قطرة من تياره إذا رآه وتأمل صنعه الرائى فانه يجزم من غير شك ولا تردد أن هذا العالم المتغير المرتب على هذا الترتيب العجيب لابد أن يكون حادثا وأن يكون له صانع موجد وأن يكون الخالق له حيا عليما قديرا واحدا أحدا قيوما حافظا له سميعا بصيرا مريدا متصرفا لما يشاء ويختار متصفا بصفات الكمال غير شبيه بمخلوقاته ولا مشارك فى خلقها ولا عاجز عما يريده وأن لا يكون له ابتداء ولا انتهاء . هو الاول والآخر والظاهر والباطن وأنه سبحانه يحيى ويميت وهو حى لا يموت وأنه هو الرزاق لعباده وأنه لا يخفى عليه شىء وأنه لا يحتاج إلى خلقه بل الكل محتاج اليه لانه سبحانه اذا لم يكن بهذه الصفات كان متصفا بأضدادها ومن اتصف باضدادها لا يصلح أن يكون ربا وإلها لان المتصف باضداد هذه الصفات يكون حادثا ناقصا غير كامل محتاجا لغيره جاهلا عاجزا فانيا مغلوبا مقهورا مرزوقا متجزئا مشاركا ضعيفا مثل عباده والآله سبحانه منزه عن جميع تلك النواقص فيثبت له صفات الكمال على الوجه الذى يليق بذاته المقدسة المنزهة التى لا تشبه الذوات كما أن صفاته لا تشبه سائر الصفات ويثبت وجوده على نحو ما ذكرناه وهذا كله مما يجزم به العقل السليم والطبع المستقيم فلا حاجة بنا الى الاسهاب فى هذا الباب ۞

﴿ فصل ﴾ وإذا جزم العاقل المتبصر بوجود الرب سبحانه وتعالى فلا بد أن ينظر بعده فى مسألة النبوات وارسال الرسل وصحة ذلك فاذا تأمل وعلم أن البارىء تعالى لما خلق هذا الخلق لا بد وأن يكون خلقه لهذه الاعيان غير عبث لابد ان تكون فى خلقهم وايجادهم من العدم حكمة فيجزم أنه خلقهم لعبادته عز شأنه ومعرفته تعالى وإن كان غير محتاج اليها

كما قال تعالى: ( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ) ويجزم ايضا بانه عز شأنه لما خلق الانسان وجعل منه القوى والضعيف والصالح والطالح والغنى والفقير والتابع والمتبوع لينتظم أمره وركب فيهم طبائعهم المعلومة لعلمه الأزلى باستعداداتهم وشاكلتهم التى جبلوا عليها وشهواتهم المندمجة فيهم اراد سبحانه ان يرسل اليهم رسلا ينذرونهم ويبشرونهم ويعلمونهم ما جهلوه من أمر معادهم ومعاشهم ولما كان من حكمته أن جعل سبحانه مخلوقاته اجناسا منها الملك والبشر وجعل الجنس لجنسه أميل والنوع بأفراده أوصل وأمثل أرسل الى البشر من جنسهم انبياء ورسلا هادين مبشرين ومنذرين ، ولما أمكن أن يدعى النبوة كذابون وينتحل الرسالة مبطلون دجالون جعل لمعرفة الصادق منهم علامات وميز بينهم باعطاء الصادق المتحدى معجزات باهرات وآيات بينات وآمن بهم ذوو النفس الزاكية وكذبهم ذوو الارواح الخبيثة الرديئة وبينوا للناس الاحكام النافعة لهم فى دنياهم وأخراهم وما هو اللائق لهم والاحرى بهم فسلكوا فى التفهيم والتعليم والتبشير والانذار واضح المحجة لئلا يكون للناس على الله حجة ثم ان العقل السليم لا بد أن يجزم بان الله جل شأنه لا يترك الانسان سدى يفعل ما يريد من فسوق وفجور وظلم ويمهله بلا انتقام ولا عقاب أليم شديد بل يحكم العقل بأنه تعالى يحاسب العبيد ويجازيهم وينعم ويعذب فى الدار الآخرة التى أخبر بها المرسلون لانه الفعال الذى لا يسأل عما يفعل إذ هو المالك الحقيقى ولا يسأل الملك عما يفعل فى ملكه لانه الحكيم المتصرف كما يشاء ولا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الملوكية وان جهلت الرعية عاقبتها وأسبابها لان المتصف بصفات الكمال لا يفعل عبثا فكيف تصل الى معرفة ما اقتضته حكمته عقول الاطفال والجهال من الرجال؟ه

﴿ فصل ﴾ ولما رأينا وحققنا أن أديان الرسل عليهم السلام جميعها شيء واحد من جهة الامر بالتوحيد ونفي الشريك للبارى سبحانه وتعالى وحصر العبادة به غير أنهم اختلفت رسالتهم بالنسبة إلى بعض الاحكام من الحلال والحرام وصورة العبادات والمعاملات الجارية بين افراد النوع الانسانى وذلك لما اقتضته الحكمة الالهية من تبدل الازمنة وتغاير طباع أهلها ومرور الاعوام الذى يؤثر التناسى وانقلاب العادات فعدد إليهم الارسال وكرر اليهم التذكار وجدد لهم الانذار ووالى عليهم ارسال الانبياء وخالف بين معجزاتهم ليكون النبى يأتى بما قومه أميل الى طلبه واستعظامه وكل ذلك لما فى الطبع البشرى لما يقتضى هنالك حتى مضت القرون على هذا السنن وحصلت فترة بين الرسل فى سالف الزمن الى ان حان وقت النبوة لسيدنا موسى بن عمران عليه السلام فأجرى الله تعالى على يده المعجزات فى بنى اسرائيل وأيده بالآيات وتحدى بها فلم يبق للعاقل مجال الا ان يصدقه كما فعل سحرة فرعون وان يتبعه لما ثبت عنه بالتواتر المفيد للعقل العلم الضرورى بذلك بحيث يجزم بأن انكار ماجاء به موسى عليه السلام مكابرة وان هذه المعجزات المتوالية المتكاثرة المتكررة للتواتر ولاشك ولاشبهة فى انها من خلق الله تعالى واجراؤها على يده لتكون علامة على تصديقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة الى بنى اسرائيل وانها ليست من عمل المخلوق بل من خلق الواحد سبحانه وجزم العقل بذلك من غير تردد وليس إلا للعلم الضرورى الحاصل من المقدمات فيؤمن بان موسى عليه السلام صادق فى دعواه الرسالة وأن كل ماقاله وأخبر به حق لاريب فيه ولاشك يعتريه ان التوراة التى ادعى نزولها من البارى تعالى عليه وإلقاء الألواح اليه حق وان تكليم الله تعالى له صدق. ثم اذا سلم العقل

الصحيح هذه القضايا الصحيحة وقرأ التوراة التى جاء بها موسى وتدبر معانيها وكان له استعداد الى تلقى الاشارات من خوافيها وجد فيها عبارات دالة على مجىء نبيين بعده أحدهما مؤيد لشريعته والآخر تكون يده على الجميع ، من تلك العبارات مافى الأصحاح السادس عشر والسابع عشر من سفر التكوين خطاب الملك لهاجر أم اسماعيل « وتكون يده على الجميع » وفى الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء « وسأقيم لهم نبيا مثلك » فهو دليل على نبوة نبينا محمد ﷺ لا على عيسى لانه مؤيد لشريعته ، أو فى الباب الثانى من المشاهدات مالفظه « ومن يغلب ويحفظ أعمالى الى النهاية سأعطيه سلطانا على الأمم يرعاها بقضيبين من حديد » أى بالسيف وهل هذا يصدق على غير نبينا محمد ﷺ ولما ظهر المسيح بعد موسى عليهما السلام وعلمنا الأخبار بمجيئه من التوراة أيضا لزم على العاقل تصديقه بما يدعيه بعد أن ظهرت المعجزات والآيات الدالة على ذلك مثل ماظهر من غيره من الرسل السابقين وجزم العقل بصحة دعواه النبوة الى بنى اسرائيل وادعى انزال الانجيل عليه من الله سبحانه فقرأناه وعلمنا مافيه من الآيات المتفق على صحتها وثبوتها فرأينا مافيها . ان يسوع المسيح عليه السلام لم يجىء الا مؤيداً لشريعة موسى وتابعا له وانه لم يأت ناسخا لها ولا حاكما ولا مبينا لما يتعلق بالمعاملات والأمور الدنيوية ولا بين أحكام المواريث ونحوها من أمور الشرائع بل جاء مصلحا لما أفسده بنو إسرائيل ومزهدا فى الدنيا ومرغبا فى الآخرة وأكد مافى التوراة من الاخبار بمجىء نبينا عليه الصلاة والسلام بأقوال واشارات كثيرة فى الانجيل الصحيح ، من ذلك مافى الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا المطبوع فى لندن « وأنا أطلب من الاب أن يعطيكم فارقليطا آخر ليلبث معكم الى الابد » وفى الاصحاح العشرين من انجيل متى من بشارة

طويلة فى نبينا عليه الصلاة والسلام «هكذا يكون الآخرون أولين والاولون آخرين» ومنها قوله «اذا جاء الفار قليط ونجى العالم على الخطيئة» ونحو هذا كثير فى كتب العهدين - ومعنى الفار قليط - محمد كما أثبتناه فى كتابنا «الجواب الفسيح» لما رأينا فى التوراة «جاء الله من طور سيناء وظهر بساعير وأعلن بفاران» أى جاءت شريعته بمجىء موسى عليه السلام من الطور وعيسى من ساعير وهو جبل القدس وفاران جبل مكة وفى محل آخر «من أبناء قيدار» علمنا أن هذا النبى يظهر من جبال فاران وهى جبال مكة ومن أبناء قيدار وهو جد النبى عليه الصلاة والسلام على ما فى الانجيل وعلمنا ما أخبر به علماء اليهود والنصارى والكهان من قرب ظهور هذا النبى من هذا المكان ورأينا محمدا ﷺ قد خرج كما أخبروا وادعى النبوة والرسالة وأوذى فى ذات الله تعالى وصبر كأمثاله من المرسلين صلوات الله تعالى عليهم أجمعين وكان موصوفا بالصفات التى ذكرت فى التوراة والانجيل ومتحليا بالمزايا التى لم يسبقه اليها مثيل ورأيناه معروف النسب عالى الحسب صادق الهمة أمين الفعل طيب الاصل حسن الاخلاق زاهدا لا يلتفت الى الدنيا متعبدا عفيفا طاهرا كريما شجاعا فصيحا بليغا بهيا وضيا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يأمر بعبادة الله تعالى وحده يكسر الاصنام ولا يأكل الخبيث من الطعام يصل الرحم ويرحم اليتيم والفقير ويأمر بالصدقات وهو لا يقبلها وبالصوم والصلاة والزكاة وينهى عن الفسق والفجور والظلم والفواحش وسىء الاخلاق وعن الكذب ويصدق الانبياء السابقين بما جاؤا به عن رب العالمين وينزه المسيح عما رمته اليهود وعما ادعته النصارى فيه من الالوهية وظهرت أيضا على يده المعجزات ونزل عليه الوحى بمثل ما ينزل على الرسل من الآيات البينات وأخبر بالمغيبات الصادقات حتى تواترت تلك الخوارق للعادات

ورأيناه ينزه الله سبحانه عن أن يكون له ولد أو يتجزأ أو يحل فى مخلوقاته أو يحتاج اليها وينهى عما كانت عليه الجاهلية من الافعال المذمومة كالاشراك وعبادة الاصنام والسجود لغير الله تعالى والقتل ووأد البنات وأكل أموال الناس بالباطل ولم يجعل النبوة ملكا ولا سلطانا ولم يدخر درهما ولا دينارا ولم ينتقم كما تنتقم الملوك أو يزخرف دارا ورأيناه منصور اللواء مقهور الاعداء فاتحا للبلاد متواضعا مهيبا وقورا متكلما بالحكم سائسا للعباد وأتى بقرآن منزل عليه من الله سبحانه أعجز الفصحاء والبلغاء والعرب العرباء عن أن يأتوا بمثله وتحدى به فما قدروا على ذلك مع فصاحتهم وبلاغتهم وطول المدة وتوالى الاعوام واختلاف الأقوام مع أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب ولم يجالس أصحاب الكتب والاخبار فأخبر فيه بما فى كتب الانبياء السابقين والرسل الماضين وبين أحوال الامم السالفين وجمع فيه من العلوم ما تعجز عنه الافهام وشرع من الدين المأخوذ من الله تعالى بطريق الوحى الذى كان ينزل على أسلافه من المرسلين فأتى بشريعة مطهرة كاملة مهذبة جامعة مانعة عادلة مصلحة فاضلة متوسطة بين التشديدات التى عند بنى إسرائيل والاباحات التى عند المسيحيين فهى العادلة الفاضلة معا مشتملة على العدل والفضل الذى هو الكمال، أما اشتمالها على العدل فمثل وجوب القصاص، وأما اشتمالها على الفضل فمثل أمره بالعفو فانه أقرب للتقوى ورأينا أيضا أن غالب الاحكام المتعلقة بأحوال العباد لا توجد عند اليهود وجميع الاحكام مفقودة عند المسيح ومحالة على التوراة وراجعة اليها ولا سيما المواريث وما رأيناه من تبديل اليهود والنصارى لكثير من أحكام التوراة بحيث لا يمكنهم إنكاره ورأينا أن كثيرا ممن ادعى النبوة كذبا فى الزمان الاول والآخر لم يظهر على أيديهم شىء

مثل ما ظهر من موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وعلمنا سوء حالهم وظهور كذبهم وفساد نيتهم وعدم فشو دينهم بمرور الزمان فانه يكشف أحوال الشخص *

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكان الانبياء الصادقون أخبرونا بمجيئهم وميزوا لنا حال الصادق منهم عن الكاذب الداخل فيهم وان مجىء الانبياء والكذابين لا يخلو من فائدة وحكمة إلهية لانه لولا وجود الضد لم يظهر حسن ضده كما يقال «وبضدها تتميز الاشياء» ولولا الارض لم يظهر علو السماء ورأينا أن إرساله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعد أن جالده المشركون بالسيوف فأذاقهم كأس الحتوف حتى انقادوا للحق مذعنين واستسلموا لله طائعين سرت بأقصر مدة فى البلاد والعباد حتى بلغت أقاصى العمران واتبعته ملوك الزمان ودخلت فى دينه أمم كثيرة من أنواع شتى بعد أن ظهر لهم البرهان من غير سيف ولا سنان مع أنه لما ظهر عليه الصلاة والسلام ظهر منفرداً بنفسه لا مال ولا رجال حتى ظهرت معجزاته فدخلت الناس فى دينه أفواجا وأخبر بوصول دعوته شرقا وغربا وشمالا وجنوباً وبراً وبحراً وبما يكون لامته بعده ومايحصل فيهم ومايصدر منهم ومايحل بهم من الفتن فظهر جميعه على طول المدى كما أخبر وتوالت معجزاته فى حياته حتى فاقت معجزات موسى ابن عمران وبان لنا أن كل ماقاله حق والذى نطق به وصح عنه صدق كما شهدت له الكتب السماوية وأخبرت به الكهان ورأينا أن أحكام شريعته فاقت سائر الشرائع والاديان واستوفت بأصولها وفروعها الحوادث الشرعية التى تقع فى الازمان حتى أنها بينت مايتعلق بالطب الروحانى والجسمانى المتعلق بالابدان وحرمت استعمال المغيرات للاجسام والعقول وأسست

لحفظها قواعد وأصولا وعلماء أمته الآخذون عنه والمستنبطون الاحكام من أقواله وأفعاله لم يشبههم فى ذلك أحد من علماء الامم السالفة فألفوا الكتب فى جميع العلوم ودونوا واجتهدوا وصنفوا واصلوا وفرعوا حتى فاقوا وبرعوا وانتشرت مصنفاتهم واستحسنت أقوالهم فى سائر اقطار الارض وأتوا بمعارف وفضائل وحصلوا من العلوم مالم يكن فى الاوائل كما أخبر نبينا ﷺ وانه سيكون فى أمته ذلك مع أنهم فى المبدأ أمة أمية بعيدون عن التمدن والمعارف الكسبية فنالوا مالم تنله الامم وتبينت فضائلهم كنار على علم وحصل لهم من السياسة وتدبير الحروب والشجاعة والاقدام فى فتح البلاد والصبر على الشدائد فى الظفر مالم يروا مثله عن القرون المتقدمة من لدن آدم أبى البشر وكان أيضا فى أصحابه ومن بعدهم من العلماء والزهاد والصلحاء مايعجز القلم عن سرد أسمائهم وظهرت منهم أيضا خوارق وكرامات شبيهة بالمعجزات متواترة تفيد اليقين والعلم الضرورى أن ماحصل لهم إنما هو لكون دينهم حقا ورأينا أيضا أن المسلمين بالنسبة إلى المجموع من غيرهم قليلون وان عدتهم وعسكرهم وبلادهم وأسلحتهم وأموالهم أيضا أكثر وأوفر ومع هذا فالاسلام باق والايمان بالدين المحمدى فاش متزايد ومحفوظ من تسليط مخالفيه فمن مجموع الادلة المتقدمة وغيرها مما ذكرناه فى كتابنا «الجواب الفسيح» مايحكم العقل الصائب ويجزم الفكر الثاقب بصحة نبوة نبينا محمد ﷺ وانه صادق فى جميع ما أخبرنا به من أنه خاتم النبيين وان شريعته باقية إلى يوم الدين وانه لاحاجة إلى أن ينسخ بعد هذا لان الاحكام فيه كاملة واستخراجات العلماء متواصلة ، وأما شرفه على بقية الاديان ورجحانه فى الميزان فلأسباب كثيرة منها ماتقدم من العهدين عهد موسى وعيسى وما عند هؤلاء من الشدة وعند اولئك من الاباحة ،

ومنها ان شرف الشيء بشرف موضوعه وقد قدمنا لك جملة من موضوع الاسلام ، ونضرب لك مثلا يوضح المرام وهو أن ملوك الزمان كثير وهم فى الربع المسكون وفيرون وفى القوة المالية والعسكرية واتساع الممالك متفاوتون والناس لابد لهم أن يرجحوا بعضهم على بعض ويقدموا منهم فى الشرف من كان أقوى منهم سلطانا وأرصن أحكاما وأمضى سلاحا وأحسن لرعيته وأمواله إصلاحا ، وحيث رأينا فى دين الاسلام ماقدمناه لك من الاحكام وتلوناه عليك من المرام وان جميع العقلاء يعترفون من أحكامه الشرعية وسياسته المرعية وعلومه الواسعة وبدائعه الناصعة وفنونه المتنوعة وعدالته الراجحة وسيرته الواضحة بحيث إذا فتش الانسان كتب الامم الماضية لم يجد فيها مايسد الحاجة من الاحكام المتعلقة بأمر المعاش والمعاد والعدل وتهذيب السياسة التى بها انتظام العالم كما يجد فى دين الاسلام وكتبه ولماقال فى التوراة «أعلن بفاران» وفى الانجيل «يوبخ العالم ويبقى إلى الابد» فدل على أشرفيته ودوامه وعدم نسخه عند كل خبير بمعانى الكلام فطن فى فهم مايرام ، ورأينا أن كلامه المشتمل على أمر ونهى وتعليم مايلزم للانسان فى جميع شئونه منقول بروايات الثقات محفوظ عند أمته جيلا بعد جيل وقبيلا بعد قبيل فى الصدور والسطور وعلى مر الدهور وهو بعد كلام الله سبحانه وتعالى فى الحفظ والسلامة من التبديل بخلاف ماوقع فيما هو مثبت فى التوراة والانجيل وفيه من بيان الحلال والحرام مالا يتأتى مثله من بشر غير مؤيد من الله تعالى العلام بخلاف كلام سائر الانبياء عليهم السلام فان كلامهم لم يدون ولم يحفظ عنهم من أمتهم سوى بعض ما أنزل اليهم من ربهم سبحانه وتعالى ومع هذا فان أمتهم زادت فيه وبدلت بعدهم فهذه التوراة الموجودة الآن مع التوراة التى

عند اليهود والاناجيل التى تنوف على أربعين واستقر الآن رأى النصارى على اربعة منها ومع هذا «فالبروتوستان» يقولون إن فى انجيل «القاتوليك» تغييراً وهؤلاء يقولون ان فى الانجيل «البروتوستان» تغييرا وكلما طبعت منهما طائفة نسخ الانجيل غيرت وبدلت تغييرا معنويا ولفظيا وهذا لفظ «الفار قليط المبشر به فى الاناجيل» والمراد به محمد ﷺ محرر فى النسخ القديمة المطبوعة فى لندن فقد بدلوه بلفظ «المعزى» والنسخة الآن موجودة عندى من جملة كتبى الموقوفة فى المدرسة المرجانية مطبوع فيها لفظ «الفار قليط» ومن يطالع كتابى «الجواب الفسيح» وينظر الى التوراة والاناجيل ويرى الكتاب المعروف عند اليهود با «التلمود» يرى ما قلناه أمراً جليا عند كل منصف والمباحث التى فى كتاب التلمود متناقضة متضاربة مع أنه هو المعتمد عليه فى الاحكام وبيان الحلال والحرام وهذا كله بخلاف القرآن العظيم الكتاب المبين . الفرقان الكريم . وبخلاف كلام نبينا عليه الصلاة والسلام وسائر تفاسير علماء أمته الكرام وكتب المجتهدين الاعلام فانها مهذبة محكمة عادلة فاضلة محفوظة على مر الليالى والاعوام وهذا كله مما يوجب شرف هذه الشريعة على غيرها وان تكون خاتمة لاتنسخ ولاتبدل وان يحكم بدوامها وبقائها وعدم أفول بدرها الى يوم القيامة كما أخبرنا نبينا عليـــه الصلاة والسلام ❁

﴿ فصل ﴾ واعلم أن النسخ وان أنكرته اليهود فهو ثابت عندهم لما نطقت به التوراة فى كثير من الاحكام حتى أن اليهود أنفسهم بعد انقطاع أنبيائهم نسخوا وأبطلوا كثيرا من أحكام التوراة، منها مسألة الاغتسال من الجنابة والجماع فهو مفروض واجب محتم عليهم فيها الى الابد مع التشديد التام على من لم يغتسل ومحكوم بنجاسته فيها فقد رفعوه برأيهم وأسقطوه

عنهم من تلقاء أنفسهم فهم الآن أنجاس بحكم التوراة فكيف يساوون الاسلام المتطهرين وكذا النصارى اقتدوا بهم فهم مثلهم وزادوا عليهم بنسخ الختان وإبطال السبت وأكل جميع ماتشتهيه النفس من الحيوانات حتى القاذورات ووجوب التبتل - أى عدم الزواج للرهبان - مع زعمهم أن الرب سبحانه تولد من مريم وقالوا إن الرهبان يغفرون الذنوب وجوزوا السجود للصور كصورة المسيح وأمه مريم وصور الحواريين والصلاة لهم وجعل مريم أقنوما رابعا مع أن التوراة مصرحة بتحريم الصور والسجود لها وهذه الافعال والاقوال علاوة على اعتقادهم فى امر التثليث وزعمهم أن الله سبحانه وتعالى حل فى مريم وتولد منها وأكل وشرب وتغوط وضرب وصفع وصلب ودخل الجحيم والادهى من هذا كله اعتقادهم بالعشاء الربانى المعروف عندهم ربا لآخر سينا وهو عبارة عن أكله قطعة من الخبز التى يقرأ عليها رهبانهم كلمات معلومة فى الانجيل وشرب كأس من خمر أيضا يقرأ عليها نحو ذلك فينقلب الخبز لحم الاله سبحانه والخمر دم الاله سبحانه ويأكله ويشربه كل أحدمنهم على أنه أكل الاله بنفسه وشرب دمه وهذا كله على الحقيقة لا على سبيل التشبيه والتبرك فذاك الآكل الشارب أكل الاله حقيقة لا مجازا وهذا شىء معروف مشهور لا قدرة لهم على انكاره لانه ثابت ثبوت الشمس فى رائعة النهار *

﴿ تتمة ﴾ وخلاصة الجواب أن هذه الامة المحمدية إنما كانت أشرف الامم وأن شريعتها لا تنسخ ولا تبدل إلى أن تقوم الساعة لانها لم تغير بعد نبيها عليه الصلاة والسلام شيئا من الاحكام ولم تحرف كلام الرب العلام كما فعل غيرها ولانها تؤمن بجميع الانبياء عليهم السلام بخلاف اليهود والنصارى والصابئين المنكرين لكثير من المرسلين والصابئون أيضا يعبدون

النجوم وليس لهم شرع ولا كتاب معلوم والمجوس يزعمون أن كتابهم نزل على (زرادشت) وهو يجوز لهم نكاح البنات والامهات ومفاوضة كل فرد منهم فى وطء زوجته وعبادات النيران فهل يحكم بحسن شريعتهم إنسان؟ ولم ولم لكل فرد من هؤلاء الاقوام من عقائد تستحى من ذكرها الالسنة والاقلام فكيف تنسخ شريعة الاسلام بعد ما بينت هذه الاحكام وكيف لاتكون مشرفة عالية على سائر الاديان وقرآنها هذا القرآن واستيفاؤها للاحكام والعدة لاتحتاج عند العاقل إلى برهان وكتبها وعلماؤها ومعارفهم وتصنيفاتهم فى الميدان ؟ فكيف لايحكم العقل بأشرفيتها وبقائها إلى آخر الدوران؟ ومع هذه الأدلة العقلية الأدلة النقلية عن الكتب السماوية انها العادلة الخاتمة الفاضلة الفاصلة الحاسمة . فخذ هداك الله تعالى ما نفثه القلم على وجه السرعة فى ثلاث ساعات وتدبره فى ذهنك مع الانصاف التام وترك التعصب فانه من الآفات وتذكر موتك وحشرك وسؤالك من عالم الخفيات وبارىء المسموكات وانه لاينفعك بعد ذلك الندم عند جزاء الانسان على ما أخر وقدم وان كنت فى شك مما تلوناه عليك ووضعناه بين يديك فارجع إلى كتابنا الكبير وسائر الكتب المفصلة المسائل والمبينة للمشكلات المعضلات أو إلى عالم نحرير (ولا ينبئك مثل خبير) حتى تنجلى عن قلبك غياهب الشكوك وتفوز باليقين وتميز هذا الدين عن سواه من كل دين فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين، والحمد لله رب العالمين. وصلاته وسلامه على سيدنا محمد. وعلى جميع إخوانه من الانبياء والمرسلين وآله وصحبه أجمعين ، وكان ذلك يوم التروية من سنة ثلاث وثلثمائة وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل نعت وأتم وصف

تطلب هذه الكتب وغيرها من

# إدارة الطباعة المنيرية

| | |
|---|---|
| ١٠ | شرح ابن ملك على مشارق الانوار للصاغانى فى الحديث وهو مختصر الصحيحين مع ترتيبه على حروف الهجاء |
| ٢٥ | كتاب سيبويه جزآن |
| ٥ | ديوان البهاء زهير طبع جديد |
| ٤ | جواهر العلوم لطنطاوى جوهرى |
| ٣٠ | الحاوى للفتاوى جزآن طبع على ورق جيد ممتاز |
| ٤ | شرح اسماء الله الحسنى للفخر الرازى |
| ١٥٠ | المحلى لابن حزم فى بيان مذاهب فقهاء علماء الامصار مع ذكر الادلة وترجيح الاحكام جزء ١١ |
| ٦ | كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد طبعة ثالثة |
| ٤٠ | خزانة الادب تمم منه جزء ٤ |
| ٦ | معرب القرآن |
| ١٠ | الرسالة الحميدية فى حقيقة الديانة الاسلامية بتعليق عليها |
| ٢٠ | الزرقانى على المواهب جزء ٨ |
| ١٥ | شرحان على الشفا للقاضى عياض جزء ٤ |
| ١٥ | حجة الله البالغة للدهلوى جزء ٢ |
| ١ | الواسطة بين الخلق والحق لابن تيمية |
| ٨ | الزواجر لابن حجر جزء ٢ |

# الكلم الطيب

## تأليف

شيخ الاسلام وقدوة الانام الامام المجتهد ، وحيد دهره ،
وفريد عصره تقى الدين ابى العباس أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية الحرانى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٨ ﻫ
تغمده الله برحمته واسكنه بحبوحة جنته آمين

صححه وراجع اصوله للمرة الثانية سنة ١٣٥٥ ﻫ
محمد منير الدمشقى من علماء الازهر الشريف ومدير


## إدارة الطباعة المنيرية

وقد روجعت هذه النسخة على غير نسخة فاشتملت على زيادات كثيرة لم
توجد فى نسخة غيرها فكانت نسختنا هذه ممتازة



حقوق الطبع محفوظة



درب الاتراك رقم ١

## ﴿ مقدمة الناشر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، كما يحب ويرضى، وكما يليق بجلال وجهه، وسابغ نعمه ، وعظيم كرمه وواسع رحمته - لانحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه . والصلاة والسلام على صفوة خلقه ، وأشرف رسله، وأحبهم اليه، وأقربهم منه فى الدنيا والآخرة، محمد المبعوث للناس كافة بالرحمة والهدى والنور الكامل والصراط المستقيم وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ اما بعد ﴾ فان غذاء القلوب وحياتها ونورها وقوتها لايكون الا بذكر الله الذى هو خشيته ومراقبته وامتلاء القلب بجلاله والرهبة منه ، والرجاء فى رحمته والثقة به والتوكل عليه وحده والثناء عليه بما هو أهله وبذكر محامده وأسمائه الحسنى وصفاته العليا . وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم لذكر الله مثلا بليغا جدا اذ يقول فى حديث الحارث الأشعرى الذى رواه الامام احمد والترمذى « وآمركم أن تذكروا الله تعالى فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا حتى اذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منه كذلك العبد لايحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله » .

ولو لم يكن لذكر الله الا هذه الخصلة الحميدة والثمرة العظيمة لكفى بها داعيا وحاثا للعبد على دوام ذكر الله فانه لايحرز نفسه من عدوه الا بالذكر . ولايغلق دونه باب الحفظ والصيانة الا بالذكر . والعدو قائم بالمرصاد متحين أقل غفلة وجاهد أن يلج من هذه الغفلة على القلب ليتلفه. فاذا ماذكر الله انخنس ذلك العدو وتصاغر وانقمع وذل حتى يكون كالذباب .

وفى مسند الامام أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ماعمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل» وفى صحيح مسلم عن الأغر أبى مسلم قال: اشهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لايقعد قوم يذكرون الله فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة

وذكرهم الله فيمن عنده » وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تبارك وتعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم. وان تقرب إلي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا. وإذا أتاني يمشي اتيته هرولة » وذكر البيهقي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لكل شيء صقالة ، وان صقالة القلوب ذكر الله عز وجل » فالقلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما ، وانما يكون صدؤه بالغفلة والذنب . وجلاؤه بالاستغفار والذكر والقلب كالمرآة على قدر صفائه من الكدورات والاغيار تنطبع فيه صور المعلومات فاذا صدأ من طول غفلته و كثرة ذنبه لم تنطبع فيه صور المعلومات كما هي فاذا تراكم الصدأ اسود ، وأحاط به الران ، وغلف واكتسى بتلك الطبقات من الظلمات ففسد مزاجه وانعكس ادراكه فلا يقبل حقا ولا يرد باطلا نسأل الله العافية . قال تعالى: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) *

وقد ذكر العلامة ابن قيم في الوابل الصيب أكثر من مائة فائدة ذكرتها في شرحي على هذا الكتاب فعليك به *

فالذكر نوعان : ذكر أسماء الله تعالى وصفاته والثناء عليه بهما . وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به سبحانه . وهذا اما أن يكون بانشاء الثناء عليه بها من الذاكر . وهذا هو المذكور في الأحاديث نحو «سبحان الله والحمد لله والله اكبر» وغيرها . فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء على الله تعالى ، وإما أن يكون بالاخبار عن الله تعالى بأحكام أسمائه وصفاته مثل قولك (ان الله سميع عليم) ولا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ونحو ذلك فأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى

عليه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل وهذا النوع ثلاثة أنواع: حمد. وثناء. ومجد، فالحمد لله الاخبار عنه بصفات كماله مع محبته والرضا به . فلا يكون المحب الساكت حامداً، ولا المثنى بلا محبة حامداً حتى تجتمع له المحبة والثناء فان كرر المحامد شيئاً بعد شيء كانت ثناء أو ان كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجداً. وقد جمع الله الانواع الثلاثة فى أول الفاتحة فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدنى عبدى . فاذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله : أثنى على عبدى فاذا قال (مالك يوم الدين) قال الله : مجدنى عبدى ❁

﴿واعلم﴾ أن من أعظم انواع ذكر الله عالى: ذكر أمره ونهيه وأحكامه وهو أيضا نوعان (أحدهما) ذكره بذلك اخبارا عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا ، وأحب كذا وسخط كذا (والثانى) ذكره عند أمره . فيبادر اليه ، وعند نهيه فيهرب منه . فذكر أمره ونهيه شيء . وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر ❁

ومن ذكره ذكر آلائه ونعمه واحسانه ومواقع فضله على عبيده . وهذه الانواع تكون بالقلب واللسان تارة وذلك افضل الذكر . وبالقلب وحده تارة وهى الدرجة الثانية . وباللسان وحده تارة وهى الدرجة الثالثة ❁

وأفضل الذكر ماتواطأ عليه القلب واللسان وذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده ، لان ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة ويزع عن التقصير فى الطاعات والتهاون فى المعاصى وذكر اللسان وحده لايوجب شيئا من ذلك ❁

والذكر افضل من الدعاء لان الذكر ثناء على الله بجميل صفاته وآلائه